علل الايثار في كتابي اضواء على دعاء كميل

واضواء على دعاء الصباح للسيد عز الدين بحر العلوم

أ. م. د. فلاح رسول الحسيني

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

falah.r@uokerbala.com

الباحث أحمد سعد الدين هاشم

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء

rnaatzain@gmail.com

ملخص

جاء هذا البحث والموسوم بـ (علل الايثار في كتابي اضواء على دعاء كميل واضواء على دعاء الصباح للسيد عز الدين بحر العلوم) ليسلط الضوء على علل الايثار في دعاءين جليلين، وكذلك لتسليط الضوء على حياة شخصية دينية، اجتماعية، حوزوية الا وهو السيد عز الدين بحر العلوم.

أما موضوع الايثار فهو من المواضيع اللغوية المهمة التي شغلت بال شراح ومفسري القران الكريم، وكذلك نال موضوع الايثار اهتمام صناع اللغة، فهناك الكثير من شراح القران الكريم ومفسريه قد تناولوا موضوع الايثار وبينوا سبب اختيار كلمة دون سواها في القران الكريم.

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يدرس علل الايثار في الكتب الخاصة بشرح الادعية، اذ تناولتْ دراستي كتابين مهمين يشرحان دعاءين جليلين، ولعلي كنت سباقا _ بفضل الله – في هذا المجال، فأغلب الدراسات والجهود السابقة الخاصة بعلل التعبير كانت تدور حول القرآن الكريم وتفاسيره والامثلة في هذا الشأن كثيرة ومعروفة.

وتكمن الاهمية أيضا في أنَّ هذين الكتابين لم يدرسا من قبل _ على حدود علمي _ دراسة لغوية، فدراستي هي البكر في هذا الشأن ولله الحمد.

واتّبعت في هذه الدراسة منهجاً وصفيّاً و تحليليا واستقرائيا، قائماً على القراءة الدقيقة والمفصلة للكتابين والوقوف على علل الايثار فيهما، وكذلك التتبع والرصد لما كتبه الاخرون، وكذلك شرح وتحليل بعض المسائل التي تطلبت ذلك مع التعقيب بالموافقة او المخالفة مؤيدا كلامي ببعض الادلة في كلتا الحالتين.

وقد اعتمدت الدِّراسة في تحليلها على رؤيّة الشارح وموازنتها مع آراء الشراح الاخرين، في المصادر التي بين يدي، لمعرفة مدى تأثير الشارح عز الدين بغيره أو تأثيره في الآخرين، وكذلك ذكرت المواضع التي انفرد فيها السيد عز الدين بالشرح ليس من باب المقارنة ولكن من باب بيان اجتهاد السيد عز الدين (رحمه الله).

واقتضت الدراسة الرجوع الى عدد من المصادر والمراجع المختلفة، وتنوعت هذه المصادر من حيث المطبوع والمخطوط، ومن حيث الكتب والرسائل والأطاريح والبحوث، ومن حيث الموضوع ايضا، فهناك كتب التفسير والنحو والمعجم والدلالة والبلاغة وغيرها.

الكلمات المفتاحية: عز الدين بحر العلوم، علل التعبير، الايثار، دعاء كميل، دعاء الصباح

"Reasons for Preference in the Books 'Lights on Dua Kumayl' and 'Lights on Morning Supplication' by Sayyid Aziz al-Din Bahr al-Ulum"

Assoc. Prof. Dr. Falah Rasool Al-Husseini

University of Karbala، College of Education for Human Sciences، Arabic Language Department

falah.r@uokerbala.com

Ahmed Saad Al-Din Hashem

University of Karbala، College of Education for Human Sciences، Arabic Language Department

rnaatzain@gmail.com

Abstract

This research، titled "Reasons for Preference in the Books 'Lights on Dua Kumayl' and 'Lights on Morning Supplication' by Sayyid Aziz al-Din Bahr al-Ulum،" aims to shed light on the reasons for preference in two significant supplications. Additionally، it highlights the personal، religious، and social life of Sayyid Aziz al-Din Bahr al-Ulum.

The topic of preference is essential in the field of linguistics and has been a subject of interest for Quranic scholars and language experts. Many scholars have explored the concept of preference and discussed why specific words are chosen over others in the Quran.

The significance of this study lies in its examination of the reasons for preference in books dedicated to explaining supplications. Specifically، it analyzes two important books that elucidate profound supplications. This research is pioneering in that it represents the first linguistic analysis of these books.

The study adopts a descriptive، analytical، and interpretative approach، relying on a meticulous and detailed reading of the two books to identify the reasons for preference. It also reviews and monitors the contributions of other scholars in this field. Additionally، it provides an explanation and analysis of some issues that require it، with either agreement or disagreement supported by evidence in both cases.

The study relies on the perspective of the commentator and balances it with the opinions of other commentators in available sources to assess the impact of Sayyid Aziz al-Din Bahr on the work of others and to highlight areas where he provided unique interpretations.

The research draws upon various sources، including printed and manuscript sources، as well as books، theses، and research papers in diverse subjects such as interpretation، grammar، lexicography، semantics، and rhetoric.

Keywords: Sayyid Aziz al-Din Bahr al-Ulum، reasons for preference، preference، Dua Kumayl، morning supplication.

المقدمة

عز الدين بحر هو السيد عز الدين ابن السيد علي ابن السيد هادي ابن السيد علي نقي ابن السيد محمد تقي بن الرضا ابن السيد محمد مهدي ابن السيد المرتضى ابن السيد محمد الطباطبائي، الملقب ببحر العلوم، ولُقب ببحر العلوم نسبةً الى لقب جدهِ الأعلى السيد محمد مهدي بحر العلوم، الذي كان يُعد من كبار مراجع الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري، وقد اشتهر جدهُ بذلك اللقب (ينظر: رجالات السيد بحر العلوم (المعروف بالفوائد الرجالية): ١/ ١٨١، وينظر: هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين: ٢/ ٣٥١ وينظر: معجم رجال الفكر والادب في النجف: ١٩٦٤م: ٢١٢)، كان يكنى _ رحمه الله_: بأبي حسن لقاء مع السيد كاظم بحر العلوم، (نجل السيد عز الدين بحر العلوم الجمعة في ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة: ١٠صباحا، مكتبه الشخصي، شارع الروان، النجف الاشرف).

ولدَ السيد عز الدين في سنة ١٣٥٢هـ الموافق عام ١٩٣٣م في مدينة النجف الأشرف محلة المشراق، وهو النجل الثالث للسيد علي بحر العلوم (ينظر: الفوائد الرجالية: ١/ ١٨٥. وينظر: معجم رجال الفكر والادب في النجف الاشرف خلال الف عام: ١/ ١٨٢)، ويصل نسبهُ – رحمه الله – الى الإمام الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ينظر: الفوائد الرجالية: ١/ ٨١).

وللسيد عز الدين ثلاثة اخوة اكبرهم الدكتور محمد بحر العلوم (ت ٢٠١٥ م) (ينظر: الفوائد الرجالية: ١/ ٨١)، ثم آية الله السيد علاء الدين بحر العلوم الذي اعتقل في سنة ١٩٩١م من قبل السلطة الحاكمة ولا يعرف عن مصيره شيء لحد الان وقد يكون قد اعدم في تلك السنة (ينظر: الفوائد الرجالية: ١/ ٨١)، ثم السيد عز الدين بحر العلوم، والسيد مهدي بحر العلوم والذي اشتغل بالتجارة والعمل ومازال حيا، اما الثلاثة – رحمهم الله– فقد انتهجوا نهج ابيهم في طلب العلم واشتغلوا في الحوزة العلمية (لقاء مع الشيخ محمد سلمان الخاقاني، مسجل صوتيا في ديوانه، النجف الاشرف، الجُديدة، يوم الجمعة، ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة ١١:٢٥ صباحا، وهو احد تلاميذ السيد عز الدين ومعاصر له، وهو اديب وكاتب ومتذوق، ولد سنة (١٩٣٦م) في النجف الاشرف. ينظر: جمعية الرابطة الادبية في النجف الاشرف، العلامة الدكتور السيد محمد بحر العلوم، ٢/ ٢٤٢).

تزوج السيد عز الدين (رحمه الله) من بنت عمه العلوية أميرة بنت حجة الإسلام والمسلمين السيد مرزا بحر العلوم وأنجب ولدين وثلاث بنات، ابنه الاكبر السيد حسن بحر العلوم والذي وافاه الاجل بعد عودته من الحج مباشرة سنة (٢٠١٤م)، وابنه الاخر السيد كاظم بحر العلوم وهو مدير الهيئة العلمية في النجف الأشرف والتي تعنى بمراجعة البحوث ومدى صلاحيتها للنشر، وأيضاً هو مسؤول مدرسة آية الله السيد عز الدين بحر العلوم

رحمه الله (لقاء مع السيد كاظم بحر العلوم، الجمعة في ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة: ١٠صباحا. وينظر: موسوعة عن قتل واضطهاد مراجع الدين وعلماء وطلاب الحوزة الدينيه لشيعه بلد المقابر الجماعية (العراق)، ١١).

عاش السيد عز الدين (رحمه الله) في كنف والده الذي حرص على تعليمه وتنشئته تنشأة علمية واخلاقية، وبانضباط عالٍ، وتلقي العلوم الدينية على يد علماء كبار، وكان يتابع تعليمه بدقة وحرص كبيرين، وكان لا يتسامح ولا يتهاون في عقوبة اولاده اذا وجد منهم تماهلا في صباهم، لذا نشأ السيد عز الدين نشأة مميزة تختلف عن نشأة أقرانه في باقي الاسر (لقاء مع الشيخ محمد سلمان الخاقاني، الجمعة، ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة ١١:٢٥ صباحا).

أما حياة السيد عز الدين العلمية فقد كان والده حريصا على تعليم اولاده حرصا كبيرا لذا أرسل ولده عز الدين الى الكتاتيب في النجف الاشرف لتعلم القراءة والكتابة (لقاء مع السيد كاظم عز الدين، الاثنين، ٢٥/ ١/ ٢٠٢١، الساعة ١ ظهرا)، ثم بعد ذلك التحق بالحوزة العلمية في عمر عشر سنوات، وقد درس على يد كبار العلماء في النجف الاشرف، واستمر في الدراسة الحوزوية متدرجاً فيها الى مراتب عليا، وقد انهى (سطوحه) في الفقه والأصول، وحضر (خارجهما)، مع أخيه السيد علاء الدين علي يد الاساتذة آيات الله العظام ومراجع الامة: السيد الطباطبائي الحكيم والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي (رحمهم الله جميعا)، كما كتب تقريراتهم أيضا (ينظر: الفوائد الرجالية،١/ ١٨٥).

تأثر السيد عز الدين رحمه الله كثيرا من الناحية العلمية بمعلمه الاول الشيخ حسين الحلي وكان من طلابه المتميزين واختص بالحضور الى دروسه (لقاء مع الشيخ محمد سلمان الخاقاني، الجمعة، ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة ١١:٢٥ صباحا)، حتى كان يسميه (العم الشيخ حسين) (لقاء مع السيد كاظم عز الدين، الاثنين ٢٥/ ١/ ٢٠٢١، الساعة ١ ظهرا).

كان السيد عز الدين رحمه الله من أفاضل أهل العلم، واعيا لدروس الفقه والاصول التي حضرها عند معلمه الاول الشيخ حسين الحلي رحمه الله الذي كان يحبه كثيرا، ويثق به ثقة عالية وكان السيد عز الدين متميزا في دروسه التي كان يدرسها عند معلمه (الفوائد الرجالية: ١/ ١٨٦)، فقد كان السيد عز الدين رحمه الله متقن المعلومة قوي الحجة مسلطا على المطالب والبحوث الفقهية والاصولية بالدرجة الاولى والمواضيع الدراسية الاخرى (ينظر: اوراق بعد الشهادة: ٩).

عاصر السيد عز الدين بحر العلوم في منتصف عمره أوج عطاء الحوزة العلمية وحضر ابحاث كبار العلماء وآيات الله وكان أبرزهم (ينظر: اوراق بعد الشهادة: ٩.. وكذلك لقاء مع الشيخ محمد سلمان الخاقاني، الجمعة، ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة ١١:٢٥ صباحا) : السيد محسن الحكيم) ينظر: الفوائد الرجالية، ١/ ١٤(، والسيد ابو القاسم الخوئي) ينظر: موسوعة مؤلفي الامامية، مجمع الفكر الاسلامي: ٢/ ٤٥٨. وينظر: طبقات اعلام الشيعة: ١/ ٧١(، والشيخ حسين الحلي) ينظر: اصول الفقه: ١/ ٧ ((رحمهم الله جميعا)

كان السيد عز الدين نموذجا حيا للتواضع والتواصل مع الناس، فقد سار على نهج والده،وكانت له علاقات واسعة داخل النجف وخارجها، بل ان علاقاته امتدت الى خارج العراق، ولم يكن بيته المتواضع يخلو من المحبين وطلبة العلم وكان يخدمهم بنفسه وهو العالم الوقور، يقف مع الصغير والكبير، يتفقد الناس لقضاء حوائجهم ويصلهم بالأفراح والاحـزان، دعا الى الوحدة وكان بعيدا عن التعصب، جسد في أدبياته سماحة الاسلام ومنهج اهل بيت الرحمة، كان محبا لوضع يده في يد الاخرين للنهوض نحو العقلانية والمنطق (ينظر: اوراق بعد الشهادة: ٨-١٠).

أما ما يخص مسيرته الجهادية، فقد كان السيد عز الدين رحمه الله يعيش مدة زمنية قاسية، ولعل وجوده ضمن الحوزة العلمية في النجف الاشرف كان يعتبر تحديا للنظام وجهادا في سبيل الله (المصدر نفسه: ١٤)، فقد كان النظام السابق يعد الحوزة العلمية ندا له، وتشكل مؤثراً سلبياً لكيانه (لقاء الشيخ محمد سلمان الخاقاني، الجمعة، ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠، الساعة ١١:٢٥ صباحا).

وفي أحـداث عـام ١٩٩٠ وبعد انـطلاق الانتفاضة الشعبانية) ينظر: الانتفاضة الشعبانية في الحلة، عبد الرضا عوض: ٢٠١٢: ١٢)، رأى السيد الخوئي بضرورة التصدي للوقوف امام الانهيار الأمني الذي حدث آنذاك في مدينة النجف الاشرف، فاتخذ جملة من الناس ومن فضلاء الحوزة العلمية ليشكل بهم لجنة عليا ليستشيرهم ويعملون لإرشاد الناس وبث الامن والامان في مدينة النجف فكان السيد عز الدين بحر العلوم احد هذه اللجنة، حيث ان الفقيد كان يمتلك حركة داخل المجتمع وله علاقات واسعة في النجف الاشرف وهو الاقدر على هذه الحركة واقدر على التجاوب والتفاعل في هذا المجال) لقاء مسجل صوتيا في ديوان الشيخ محمد سلمان الخاقاني، النجف الاشرف، الجُديدة، يوم الجمعة، الساعة ١١,٢٥ صباحا، ١٨/ ١٢/ ٢٠٢٠(، وفي يوم ٢١ شعبان من سنة ١٤١١هـ، أصدر السيد الخوئي (رحمه الله) بيانا يؤكد ضرورة حفظ النظام واستتباب الامن والاستقرار والاشراف على الامور العامة والشؤون الدينية والاجتماعية احترازا من خروج المصالح العامة عن الادارة الصحيحة الى التسيب والضياع، وقد أعلن سماحته أسماء اللجنة العليا وكان من ضمنهم السيد عز الدين (رحمه الله)، وهو من أصل تسعة أشخاص في اللجنة العليا وقد عدَّ سماحتهُ أنَّ رأي هذه اللجنة هو رأيهُ، وما يصدر عنها يصدر عنهُ واصفاً اياهم بأنهم نخبة من أصحاب الفضيلة وممن يعتمد على كفاءتهم وحسن تدبيرهم، وقد أمر المؤمنين اتباعهم واطاعتهم والانصياع الى أوامرهم وارشاداتهم ومساعدتهم في انجاز المهمة) ينظر: ثوار بلا نصير: يوميات الانتفاضة الشعبانية: ١/ ٢٨٩).

بقي السيد عز الدين بحر العلوم رحمه الله ملازما لأداء مهامه ومستمرا في التواجد في بيت السيد الخوئي (رحمه الله) الذي كان بمثابة المقر للجنة ليقوم بدوره ومسؤوليته التي أُنيطت به متحملا النتائج كافة ولم يتنصل عمّا أُنيط به، فقد كان المجتمع العراقي يمر بمحنة كبرى، وهو أحوج ما يكون لرجال مخلصين مؤمنين بقضيتهم لتخليص المجتمع من الظلم والقهر والجور(ينظر: اوراق بعد الشهادة، ١٦).

ولما انتكست الانتفاضة أمر السيد الخوئي (رحمه الله) أتباعهُ والمقربين منهُ التفرق والذهاب الى أماكن آمنة، ولكن السيد عز الدين أصر على اكمال المهمة واختيار احدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة، واخر لقاء جمع السيد عز الدين بولده السيد كاظم بحر العلوم كان قبل يوم من اعتقال السيد عز الدين من قبل النظام السابق، حيث ذهب السيد كاظم الى بيت السيد الخوئي؛ ليطمئن على والدهِ، وعند لقاء والده أمرهُ أنْ يغادر العراق فورا مع اخوته؛ لان الامور قد خرجت عن السيطرة، طلب السيد كاظم من والده أنْ يأتي معه، ولكنَّ السيد عز الدين أبى إلاّ أنْ يكونَ مع السيد الخوئي في هذه المحنة (لقاء مع السيد كاظم عز الدين، الاثنين ٢٥/ ١/ ٢٠٢١، الساعة ١ ظهرا.ينظر: ثوار بلا نصير، علاء الجوادي، ١/ ٢٥٩).

وبعد استعراض دور الشهيد السيد عز الدين بحر العلوم (رحمه الله) في الانتفاضة الشعبانية، وكذلك مواقفه الجهادية، تبين ان هذا الرجل يقول ما يفعل ويفعل ما يقول، اختار أنْ يكونَ حياً عند الله سبحانه وتعالى على بقائهِ ميتا ساكتاً على الذلِّ والظلمِ والطغيان، فقد عمل رحمه الله بمضمون الآية الكريمة المباركة في قوله تعالى: - ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون﴾ (ال عمران: ١٦٩)، ليختار الحياة الأبدية عند الله سبحانه وتعالى.

بعد انتهاء أحداث الانتفاضة الشعبانية، قامت السلطات الحاكمة بملاحقة المقربين من المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف والذين شاركوا في الانتفاضة الشعبانية في كل العراق بصورة عامة وفي كربلاء والنجف بصورة خاصة، قتل في هذه المدة الآلاف من الابرياء، وهدمت الكثير من الدور والمحلات بل حتى دور العبادة تم تدميرها، وكان السيد عز الدين رحمه الله من ضمن المعتقلين حيث تم اعتقاله في بيت المرجع الاعلى السيد الخوئي) هو السيد ابو القاسم الخوئي وسيتم الحديث عنه لاحقا في مطلب اساتذة السيد عز الدين(، (رحمه الله) بعد أنْ أبى مفارقة السيد الخوئي رحمه الله ساعة المحنة مع ان المرجعية الدينية المتمثلة بالسيد الخوئي طلبت من الحاضرين التفرق والذهاب الى أماكن آمنة، لكن السيد عز الدين أصر على البقاء مهما كلف الامر، حتى لو أدى بقاؤه الى اعدامه وانهاء حياته، وبالفعل حصل ذلك (ينظر: اوراق بعد الشهادة: ١٦).

ومن يومها اختفى السيد عز الدين، ولم تعرف اخباره بعد هذا الوقت، ولم ينقل عن احد بانه على قيد الحياة في السجون، الا أنّ بعض المقربين منه ذكروا أنّه قد اعدم في هذه السنة (ينظر: اوراق بعد الشهادة: ١٦).

المبحث الاول

معنى الايثار

أولاً: الإيثار لغةً واصطلاحا

١. الإيثار لغة:

((تقول افعل يا فلان هذا آثراً ما، أي إنْ اخترتَ ذلك الفعل فافعل هذا اما لا. قال ابن الاعرابي: معناه افعلهُ أول كل شيء)) معجم مقاييس اللغة: ١/ ٥٣(، وآثر: فضَّلَ

وقدّمَ، وآثرت فلانا على نفسي: من الايثار. قال الاصمعي: آثرتكَ إيثاراً أي فضلتك، والفراء قال: ابدأ بهذا آثرا ما، آثر ذي اثير، واثير ذي اثير أي ابدأ به أول كل شيء، ومن قولك: آثرت أنْ افعل كذا وكذا، و آثره عليه: فضّلَهُ. وفي التنزيل: {لقد آثرك الله علينا} (يوسف: ٩١)، وآثر الشيء: فضله واختاره (ينظر: لسان العرب: ١/ ٢٦)، و((آثرهُ إيثاراً اختارهُ وأكرمهُ وفضّلَهُ))) اقرب الموارد في فصح العربية والشوارد: ١/ ٤، و((آثره ايثارا: اختاره وفضله. ويقال: آثره على نفسه، والايثار: تفضيل المرء غيره على نفسه))) المعجم الوسيط: ١/ ٥)، و((آثر البقاء بجوار والديه، {بل تؤثرون الحياة الدنيا} (الاعلى: ٦)، آثره على نفسه: قدمه واختصه بالخير: {ويؤثرون على انفسهم ولو كان به خصاصة} (الحشر: ٩)، والايثار: مذهب الى تفضيل خير الآخرين على الخير الشخصي))) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٦١).

ومن هذه التعاريف اللغوية يمكن القول بأنّ الايثار مرتبط بالمعاني:(الاختيار، التفضيل، التقديم، الاكرام، الاختصاص)، وبالأخص مرتبطٌ بمعنيين هما: (الاختيار والتفضيل).

٢.الإيثار اصطلاحا

وأما الإيثار اصطلاحا: فهو وسيلةٌ للوصول إلى المعنى الزائد في اللفظة المختارةِ على غيرها، فقد يكون في زيادة المعنى توكيدٌ، أو يكون التوكيدُ في هذهِ اللفظة التي قد أوثرت على غيرها أكثرَ وأزْيدَ (ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: ٣/ ٣٧٥)، قال الراغب: ((ويُستعار الأثرُ للفَضْلِ، والإيثارُ للتَّفَضلِ ومنه:آثرتُهُ)) (المفردات في غريب القران: ٦٢) و((الإيثَار أن يقدِّم غيره على نفسه في النَّفع له، والدَّفع عنه، وهو النِّهاية في الأخوة)) (التعريفات: ١/ ٥٩) وهو بمعنى التَّقديم والاختيار والاختصاص (ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ١/ ٣٨).

وهو تخيُّرُ اللفظِ الذي يؤدِّي مؤدًّى معيناً لا يُؤدّيه غيرُه من الألفاظ، فهو اختيار للفظ، أو ما يمكن قوله: التركيب الذي لا يُؤدِّي غيرُهُ مؤدَّاه في هذا الغرض وذلك من تمام الفصاحة (ينظر: التحرير والتنوير((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)): ٩/ ٣٢٦) ولعلَّ المفسرين واللغويين قد اتفقوا على أنَّ الإيثار هو التفضيل (ينظر: معترك الأقران: ٢/ ١٥)، أو الاختيار(ينظر: تفسير ابي السعود: ٤/ ١٢٢. وينظر: البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٤٩١)، فالإيثار هو الاختيار المقدم، والشاهد قوله تعالى: ﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾ (يوسف: ٩١)، أي قدم اختيارك علينا، وذلك أنهم كلهم كانوا مختارين عند الله تعالى لانهم كانوا أنبياء (ينظر: الفروق اللغوية: ٨٧).

ومن خلال ربط التعاريف لغةً واصطلاحاً أستطيعُ القول إنَّ الايثار: اختيارُ وتقديمُ وتفضيل ألفاظٍ لها قيمةٍ لغويةٍ، فلو أبدلنا هذه الكلمة القيمة بكلمة مشابهةٍ لها لما حصلنا على المعنى الدقيق في الكلمة المقلدة، وباختيارنا للكلمة القيمة فإننا نترك أثراً واضحاً في التعبير، يشعر بروعتهِ أغلبُ الناس ويعرفُ قيمتهُ علماءُ اللغةِ.

ثانيا: الايثار في القرآن وعند صناع اللغة العربية

إنَّ التأملَ في دوافع التعبير ودواعيه ممَّا نحن بصدده يقتضي الإحاطة بعلوم اللغة، لأنَّك ملزَمٌ بمعرفة سبب اختيار هذه الكلمة دون غيرها، وسبب اختيار الجمع دون المفرد وبالعكس، وهذا الحرف دون غيره، وسبب اختيار هذه الجملة دون جملة اخرى، ومن ينظر في كتاب الله سبحانه وتعالى يدرك أنَّه قد اختار وآثر لفظاً على آخر، على وفق ما يلائم المقام، اما عامة الناس فلا يراعون ذلك في كلامهم، وقد نبه الجاحظ بذلك، فقال: ((وقد يستخفُّ الناس ألفاظاً ويستعملونها، وغيرُها أحقُّ بذلك منها، ألا ترى أنّ الله – تبارك وتعالى- لم يذكر في القرآن الجوعَ إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر)) (البيان والتبيين:١/ ٢٠).

لقد دعا القرآن الكريم الأعـرابَ الى توخي الدقةَ في التعبير و الاحكام فيه، حتى لا يصح ان يقع لفظ مكان اخر فتضلَّ المعاني بين الاحتمالات، وتتوه الاغراض والمقاصد في ظلال الشك والتمويه، فأمرهم الله سبحانه وتعالى ان يقولوا: (أسلمنا) بدلا من (آمنا)، لكي تقع الكلمة على معناها الحقيقي دون تحريف، في قوله تعالى: ﴿قالت الاعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم﴾ (الحجرات: ١٤)، ليُعلِّمهم انّ الايمان هو موافقة القلب للسان، اما الاسلام فهو انفراد اللسان بقول الشهادتين، فهناك فرق بين كلمة (الايـمان) و كلمة (الاسلام)، وعند التعبير يجب أن توزنَ الألفاظ وبمقياسٍ دقيقٍ في اختيار لفظةٍ دون غيرها.، كذلك أهل الصناعة في اللغة العربية، فقد اهتموا باختيار الألفاظ المناسبة والدقيقة التي تعطي المعنى الدقيق المطلوب، فقد سمع الشاعر ابراهيم بن هرمة رجلاً ينشدُ بيتا شعريا من اشعاره التي كتبها، وكان الرجل قد ابدل كلمة في البيت الشعري، حيث قال:

بـالله ربـك إنْ دخلـتَ فقـل لهـا

هـذا ابـن هرمـة (قائـماً) بالبـاب

فقال له ابن هرمة: لم اقل (قائما)، أكنتُ أتَصدّقُ؟، فقال الرجل: (قاعداً)، فقال ابن هرمة: أ كنت أبول ؟، فقال الرجل: فماذا قلت ؟ قال ابن هرمة: (واقفا)، وليتك علمت ما بين هذين قَـدْرِ اللفظ والمعنى، فالقيام: يقتضي الدوام والثبوت، أما الوقوف فلا يقتضي ذلك (ينظر: صفاء الكلمة: ٥-٧).

هكذا كان الأصل في ذوق العربيِّ حينَ يسمعُ ويَنقدُ، وهـذا ما كـان متعارفٌ عليه عند أهل البلاغة وصناعُ الكلام، فقد اجتهدَ أهل الصناعة في اللغة العربية، وبذلوا الكثير لاختيار الحسن من الالفاظ فاستعملوه، وتجاوزوا القبيح وأَنِفوه، ولا دستورَ مكتوبٌ او قانونَ محكمٌ لحصر هذا الاختيار، والاتيان بكلمة ما دون سواها على غاية من الضبط، وقدرٍ من الاحكام، انما استحسانُ الالفاظ واستهجانها يعودُ الى الحسِ، ويرجع الى الذوق، وهناك فروق دقيقة في الالفاظ بحيث أنَّ السامع يؤمن بأنَّ هذا المكان خلقت له هذه الكلمة بعينها، ولو استخدمت أُختها فإنها لا تؤدي المعنى المطلوب (ينظر:المصدر نفسه).

وقد تميزت اللغة العربية باستعمال عدة كلمات لمعنىً

واحد، وهذا لا يعني تفضيلُ الكلمة على صاحبتها منفردة في قاموس اللغة، من حيث دلالة كل لفظ على معناه، فكلمة (تَحَدَّثَ) لا تفضل على (تَكَلَّمَ)، فإذا ما نُظمت الكلمة في جملة، صارت دالة على نصيبها من المعنى، وصار من حقنا أنْ نسأل: لِمَ أُختيرتْ هذه الكلمة من دون تلك؟ ولِمَ آثرنا صيغة على أُخرى ؟ (يُنظر: دلائل الإعجاز: ٩٣-٩٤. وينظر: من بلاغة القرآن: ٤٩).

فمن خلال الكلام أعلاه يستطيع الباحث القول: إنَّ بعض الألفاظ لها ميزة في الكلام تعطي الاتساق الكامل في المعنى حتى كأنك تشم منها رائحة المعنى المطلوب، فقد يتم اختيار كلمة ويُهمل مرادفها الذي يشترك معها في الدلالة وتفضل كلمة على أُخرى وكلتا الكلمتين بمعنى واحد ولكن احدى الكلمتين معناها أدق من الاخرى.

وقد بين السيد عز الدين بحر العلوم في كتابه (أضواء على كميل) وكتابه (أضواء على دعاء الصباح) علة تفضيل لفظة على لفظة أخرى، موضحا ما يناسبها من المعاني في السياق، وكان له الذوق اللغوي، والبيان المعنوي في تعليل هذه الألفاظ وأسباب اختيارها، وإيثار بعضها على بعض.

المبحث الثاني

نماذج من علل الايثار في كتابي عز الدين بحر العلوم

اولا: علل الايثار في الاسماء

ورد في شرح السيد عز الدين بحر العلوم لكتابي أضواء على دعاء كميل وأضواء على دعاء الصباح، أسماء آثرها الداعي لأسباب عديدة، وقد أدرجها الباحث بحسب ورودها ضمن تسلسل الفقرات الدعائية، وابتداء من الاسماء التي وردت في دعاء كميل ثم الاسماء التي وردت في دعاء الصباح، ومنها:

ايثار (علمك):

بيّن السيد عز الدين بحر العلوم في شرحه لقول الداعي: (وبعلمك الذي أحاط بكل شيء) أنَّ هناك فرقاً بين كلمة (العلم) وكلمة (المعرفة)، فالعلم: لإدراك الكلي أو المركب، والمعرفة: لإدراك الجزئي أو البسيط، لذا يقال عرفت الله دون علمت الله، والعلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع (ينظر: اضواء على دعاء كميل: ٩٣)، ولعل هذا التوضيح يكشف لنا علة ايثار (العلم) على (المعرفة).

ويرى الباحث ان الداعي قد سأل الله (بعلمه) لا (بمعرفته)، لأنه لو قال أسالك بمعرفتك فإنَّ ذلك لا يصح ولا يجوز، وللأسباب التالية:

١. كلنا نعرف جميعا أنَّ من اسماء الله سبحانه وتعالى ومن صفاته سبحانه وتعالى هو اننا نقول: إنَّهُ (عالمٌ)، ولم نجد في أي آية أو رواية أو نصٍ بأنَّهُ سبحانه وتعالى يسمى (عارفاً) (ينظر: معرفة الله: ١٧١)، قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ (الانعام: ٧٣)، وقوله تعالى: ﴿ثم تردون الى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة: ٩٤)، وآيات قرآنية اخرى وردت فيها كلمة (عالم).

٢. إنَّ المعرفة هي ادراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره (ينظر:

مفردات الفاظ القران:٥٦٠)، أو هي تذكر العلم السابق بعد غيبته عن الذهن، او هي ادارك الشيء ثانيا بعد توسط نسيانه، اي انها تكون مسبوقة بغفلة او نسيان او جهل، فمن الواضح ان الله سبحانه وتعالى لا يوصف بالتذكر؛ اذ لا غفلة تعتريه مطلقا: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ (البقرة: ٢٥٥)، كما انه لا يوصف بالنسيان مطلقا، ولذا لا يطلق على الله سبحانه وتعالى (عارفا) وانما يسمى (عالما)، فيقال: الله يعلم كذا، ولا يقال يعرف كذا (ينظر: المفردات في غريب القران: ٢/ ٤٣١. ينظر: معرفة الله: ١٧١).

٣. وممكن القول: إنَّه لا يصح اطلاق العارف على الله سبحانه وتعالى لان المعرفة مأخوذة من عرفان الدار وهي اثاره التي تعرف بها، وحيث ان الله تعالى لا يصح ان يكون من جهة الاثار والادلة والعلامات والكواشف، فانه لا يصح وصفه بالعارف، كما انه يقال: الله عالم بخلقه، ولا يقال عارف بهم، الا اذا جاءت المعرفة هنا بمعنى العلم تجوّزا كمجيء العلم بمعنى المعرفة كذلك (ينظر: الفروق اللغوية: ٤٩٩).

(مُنكسرا):

علل السيد عز الدين بحر العلوم تعبير الداعي بـ (منكسرا) في قوله: (وقد اتيتك يا الهي بعد تقصيري واسرافي على نفسي معتذرا نادما منكسرا) على أَنَّهُ أعطى انطباعا بأَنَّهُ غير متطاول ولا شامخ، بل إنَّ الداعي في غاية الخشوع حيث إنَّ (الانكسار) علامة الخضوع والذلة وبهذه التفاصيل وصف الداعي نفسه بـ(الانكسار) ليستميح من ربه العطف ويستدر منه الغفران (ينظر: أضواء على دعاء كميل: ١٩٠)، ففي الحديث القدسي يقول عز من قال:(انا عند القلوب المنكسرة) (شرح النبراس : ١٠٩)، وقد انفرد السيد عز الدين بحر العلوم في شرح هذه الكلمة.

ايثار (الفاقدين):

فاقد: اسم فاعل من الفعل (فقدَ) والجمع فاقدون وفواقد لغير العاقل، وفقد الشيء: ضاع منه وخسره وعدِمه، يقال: فقدت المرأة زوجها، وفقد الصديق، ويقال ظبية فاقد، أو بقرة فاقد: أكل السبع ولدها، قال أَبو عبيد: إمرأةٌ فاقد، اي: الثكول (ينظر: لسان العرب: ٣٧/ ٣٤٤٣. وينظر: المعجم الوسيط: ٦٩٦. وينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٣/ ١٧٢٨)، وأَنشد الليث:

كأَنَّها فاقِـــــدٌ شَمْطاءُ مُعْـــــوِلَةٌ

ناحَــتْ، وجاوَبَهـــا نُكْـــــدٌ مَناكِيدُ

(البيت من لامية كعب بن زهير المشهور بالبردة وروايته في ديوانه: ٧١) واسم الفاعل: اسمٌ مشتقٌ يدلُ على فاعلِ الحدثِ وجرى مجرى الفعلِ في إفادة الحدوث، فإذا قلتَ: (قارئ)، فتلكَ الصيغةُ دلتْ على أمرين: الحدث، وهو القراءة، والفاعل وهو الذي يقوم بالقراءة (ينظر: شرح شذور الذهب،٣٨٦)، وهو((الصفة الدالة على فاعل الحدث الجارية في مطلق الحركات والسكنات على المضارع من أفعالها،في حالتي التذكير والتأنيث المفيدة لمعنى المضارع أو الماضي)) (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٣٦).

ويرى السيد عز الدين بحر العلوم، أنَّ الفاقد بمقتضى الطبع يكونُ بكاؤهُ بألمٍ على فقيدهِ، فالأمُ عندما تفقدُ وحيدَها يكونُ نوحها أشجى (ينظر: اضواء على دعاء كميل: ٢٧٧)، فمن فقد إبنهُ أو بنتهُ بالموت أو الأسر أو الغرق والخسفِ والهلكِ أو فقد شيئا آخر مطلوباً لهُ، فإنَّهُ يشعرُ بالألم والفقدان واللوعة (ينظر: شرح دعاء كميل للسبزواري: ٢٤٣)، وهذا المقطع من الدعاء الكريم (و لأبكينَّ عليك بكاء الفاقدين)، تصل فيه البلاغة في التعبير غاياتها، فكلمات الداعي نابعة من قلبٍ صادقٍ مؤمنٍ عاشق، يتدفقُ حباً ولوعةً وشوقا، قلبٌ تشرّبَ الحبَّ الالهي فيه، وهكذا هو حال العاشقين، تراهم يتحملون كلَّ شيءٍ إلا فراق المحبوب، فيمرُّ أحدهم بامرأة تندبُ ابنتها عند قبرها فيقول: طوبى لهذهِ الأمُ تعرفُ عن أية جوهرة نأت (ينظر: رحلة في الافاق والاعماق: ٣٤١)، وبذلك فان استخدامَ أي كلمةٍ يجبُ أنْ يكونَ دقيقاً متناسباً مع ما يطلبهُ الداعي، مؤثرا في المدعو، ومنهُ يتضحُ علة ايثار اسم الفاعل (فاقد) على غيره؛ لما لهذه الكلمة من تعبير مؤثر على وصف حالة الداعي، فبكاءُ الفاقدِ لهُ لوعةٌ والمٌ يختلفُ عن بكاء غيرهِ، وهو بكاءُ فقدِ الأعزاء جدا على قلوب محبيهم.

الضمير (نا):

الضميرُ: هو ما وضِعَ ليدلَّ على متكلمٍ أو مخاطبٍ أو غائبٍ تقدَّم ذكرهُ لفظاً أو تقديراً (ينظر: شرح الوافية نظم الكافية:٢٨٢. وينظر: شرح الكافية: ٢٣٢. وينظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:١/ ٦٠. وينظر: شرح المراح في التصريف: ٦٣-٦٤. وينظر: شرح الحدود النحوية: ٦٧)، وقيل: هو ما يوضع لتعيين مسماه مشعراً بتكلمه أو خطابه أو غيبته (ينظر: شرح التسهيل: ١/ ١٣٠. وينظر: توضيح مقاصد الألفية: ١/ ١٢١)، و يبدو أنه سُمي ضميراً؛ لأنه يكنى به عن الظاهر اختصاراً (ينظر كشف المشكل في النحو: ١ / ١٨٤) أو لكثرة استتاره، و عدم صراحته كالأسماء المظهـرة (ينظر: معاني النحو: ١/ ٤٥)، والضمير مصطلح البصريين، ويسميه الكوفيون الكناية و المكنى (ينظر: ارتشاف الضرب: ٢/ ٩١١).

وقد علَّل السيد عز الدين بحر العلوم ايثار الضمير (نـا)، والتعبير بصيغة الجمع في قول الداعي:(وافتح اللهم لنا مصاريع الصباح) بأنهُ من آداب الدعاء وضمان الاستجابة، أيضاً ان يعم الداعي بدعائه، ولا يقتصر على نفسهِ، فإنَّ التعميم أقرب للإجابة وفقاً لما جاء في شروط استجابة الدعاء (ينظر: اضواء على دعاء الصباح: ١٢٨)، وقد استشهد بقول النبي محمدﷺ: ((اذا دعا احدكم فليعم فأنهُ أوجبُ للدعاء (الكافي، الشيخ الكليني: ٢/ ٤٨٧. وينظر: بحار الانوار: ٩٠/ ٣١٣).

وقد ورد هذا الاسلوب في القران الكريم في سورة الحمد، في قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ (الفاتحة:٦)، فقد قال (اهدنا) الصراط المستقيم ولم يقل (اهدني) الصراط المستقيم، ففي ذلك إشاعة لروح الجماعة والابتعاد عن الأنانية وفيه نزع الأثرة والانفراد بالخير، بأنْ ندعو للآخرين بما ندعو به لأنفسنا (ينظر: لمسات بيانية في

نصوص من القران الكريم: ٥٦-٥٧٩)، حيث قال النبي محمد صلى الله عليه واله وسلم: ((أحبْ لأخيك ما تحبُ لنفسك (مسند الامام احمد بن حنبل: ٢٧/ ٢١٦) برقم ١٦٦٥٥، وقال محقِّقوه: حديث حسَن)).

وقد ذكر الرازي في تفسيرِه، كأنَّ العبدَ يقولُ: سمعتُ رسولكَ يقول: (الجماعة رحمة والفرقة عذاب) (تفسير الرازي: ١/ ٢٥٧)، وذكرَ ايضا: ((ان الدعاء كلما كان اعم كان الى الاجابة اقرب)) (المصدر نفسه)، وكذلك فإنَّ الاجتماع على الهدى وسيرَ المجموعةِ على الصراط دليلُ قوةٍ، فإذا كثُرَ السالكون يزيد الأنس ويقوى الثبات، فالسالك وحدهُ قد يضعف وقد يمل، أو يسقط أو تأكله الذئاب، فكلما كثُرَ السالكون كان أدعى للاطمئنان والاستئناس، فالسائرون على الطريق بصورة جماعية تهون عليهم مشقةُ السير، بخلاف الانفراد فإنَّهُ يورث الوحشة، ويجلبُ الملل، ويد الله مع الجماعة، والذئب يأكل من الغنم القاصية (ينظر: لمسات بيانية: ٥٧).

ويرى الباحث انَّ ما قيل في أسبابِ ايثار الضمير (نا) في (اهدنا)، تنطبق أيضاً على ايثار (نا) في (افتح لنا)، فالداعي استخدمَ صيغةَ الجمعِ بالضمير (نا) لإشاعة روح الجماعة في طلب الرحمة، وتقدير الفوز والنجاح في أعماله لهذا اليوم الجديد، وكذلك فإنَّ افتتاحَ الصباحِ بالرحمة والفلاح بشكل جماعي، فيه تثبيت وقوة، وفيه تهوين للمشقة وابتعادٌ عن الملل.

خِلَع:

الخليعة: بكسر اللام: الثوبُ الذي يُعطى مُنحةً، وخيارُ المالِ أيضاً (خِلعة)، والجمع (خِلع) (ينظر: لسان العرب: ١٤/ ١١٣٢٩).

وقد علَّل السيد عز الدين بحر العلوم ايثار كلمة (خِلع) دون سواها، والتي وردت في قول الداعي: (وألبسني اللهم من أفضل خِلع الهداية والصلاح)، لان الخلع: ما يُمنح من ثوب أو ما شاكل، والمتعارف إنَّ هذا النوع من المنحة يصدر من الكبار لأشخاص في مقام التكريم والتبجيل والتعظيم، فالشعراء اذا قصدوا مادحين ملكا أو أميرا أو رئيسا جازاهم بأن يخلع عليهم من البرود والأثواب ما يكرمهم به، وهو ما لا يشبهُ العطاء الصرف.

ومن هذا المنطق يرى السيد عز الدين أنَّ الامام عليه السلام يريد من الله سبحانه و تعالى أنْ يجعلَ ما يخصهُ بهِ من الهداية والصلاح على هذا النحو من التكريم والعطاء، ليكونَ ذلك مدعاةً للفخر والاعتزاز والشعور بقربهِ من الله، وإنَّ ما يقدمهُ في هذا المضمار منظورٌ من قبلهِ سبحانهُ، ومقبولٌ لهُ (اضواء على دعاء الصباح:١٢٩٩).

وقَدْ وضَّحَ العلّامة المحقق محمد اسماعيل المازندراني، إنَّما سُميَّ اللباسُ المخصوصُ بالخلعة لأنهُ يُخلع عن البدن، أي: يُنزعُ ليُصان ويُحفظ، وفيه ايماء الى أنَّ الصالح والمهتدي مكرمان عندهُ تعالى، أما تفضلاً عليه أو لأنهُ استحقَ ذلك (مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٨٨).

والباحث يرى أنَّ الشُراحَ السابقين (ينظر: شرح دعاء الصباح للمجلسي: ٤٧. وينظر: شرح دعاء الصباح للسبزواري: ١٢٣) لم يقفوا على شرح كلمة (خِلع) على وجه التوضيح والاعتناء، عدا المازندراني، فقد سبق السيد عز الدين ببعض التوضيح، أما السيد عز الدين بحر العلوم، فقد علل ايثار كلمة (خِلع) على أي عطاء كان، وَعدَّ هذه الكلمة قد أعطت معنى ما لا تعطيه غيرها من الكلمات، فهناك خصوصية ابتغاها الداعي وأرادها من كلمة (خِلع).

ظمآن:

ظمأ: الظَّمَأُ: العَطَشُ. وَقِيلَ: هُوَ أَخَفُّه وأَيْسَرُه، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ أَشدُّهُ، وعن اللِّحْيَانِيِّ، ظَمْآنُ: عَطِشَ، أَوْ أَشَدُّ العَطَشِ، والظَّمْآن: العَطْشانُ، وَقَدْ ظمِئَ فُلَانٌ يَظْمَأُ ظَمَأً وظَماءً وظَماءَةً إِذَا اشتدَّ عَطَشُه (ينظر: لسان العرب: ٣١/ ٢٧٦١)، ظمئ (مفرد): ج ظمئون وظماء: صفة مشبهة تدل على الثبوت من ظمئَ: ظمآن (ينظر: معجم اللغة العربية المعاصر: ٣/ ١٤٤٠).

وقبل الكلامِ عن علة الايثار في الصفة المشبهة (ظمآن)، سأذكرُ موجزاً عن الصفة المشبهة بالفعل، فقد تفاوت العلماءُ في ذكر الصفة المشبهة: فمنهم من اكتفى بالحديث عنها من ناحية العمل النحوي دون وضع تعريف محدد لها كما عِنْدَ سيبويه والمُبَرِّد، فسيبويه اكتفى بالحديث عن إعمالها حيث قال:((الصِّفَة المُشَبَّهَة بالفَاعِل في ما عَمِلت فيه)) (الكتاب : ١ / ١٩٤).

أما المبرد فيقول: ((هذا باب الصفة المشبهة بالفاعل فيما يعمل فيه، وانما تعمل فيما كان سببها وذلك كقولك: هذا حَسَنٌ الوجهِ، وكثير المالِ، اعلم أنّ هذه الصفة إنّما حَدُّها أنْ تقولَ: هذا رَجُلٌ حَسَنٌ وجهُهُ وكثير مالُه، فترفع ما بعد (حَسَن) و(كثير) بفعلهما؛ لأَنَّ الحَسَن إنّما هو للوجه، والكثرة إنّما هي للمال)) (المقتضب:٤/ ١٥٨).

((والصفة المشبهة تُثنَّى وتُجمَع وتُذكَّر وتُؤنَّث)) (الإيضاح في علل النحو: ١٣٥)، وتدل على الثبوت، وهي قابِلَة للتَعْرِيفِ والتَنْكِير بِلا شرط (ينظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ١٣٩. وينظر: شرح الكافية في النحو: ٢/ ٢٠٥)، وتُشتقُ من الفعل اللازم حيث إنّ: ((كُل صِفَة مأخوذة من فِعلٍ غَيرِ مُتَعَدٍّ)) (شرح جمل الزّجّاجي: ٢ / ٥٢).

وقد وردت الصفة المشبهة (ظمآن) في قول الداعي: (ام كيف ترد ظمآن)، و(الظمأ) أشد من (العطش) بحسب أغلب ما جاء في معاجم اللغة، لذلك بيَّنَ السيد عز الدين بحر العلوم علة ايثار الداعي لكلمة (ظمآن) على كلمة (عطشان)، لأنَّ الانسانَ عندما يقصدُ الماءَ قد يكون(عطشاناً) فيشرب، وقد يكون (ظمآناً) فيرتوي، فالظمأ أشد من العطش بل فيه حرقة، ولذلك فان الداعي عندما آثر كلمة (ظمآن) فإنَّهُ قد عبَّر عن رقةٍ مؤثرةٍ في النفس، فهو متوجه الى ربهِ ليرتوي من فيض عفوهِ ومغفرتهِ بهذهِ اللهفةِ وبهذه الحرقة، كما يلقي الظامئُ بنفسهِ على الماء بعد العطش الشديد ليرتوي منه (ينظر: اضواء على دعاء الصباح: ٢٠٣).

أما المازندراني فقد رأى أنَّ الظمآن كالعطشان وزنا ومعنى، ويقابله الريان (ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٤٢)، وبذلك فهو لا يجد فرقا بين معنى الظمآن والعطشان.

ويميل الباحث الى ما شرحه السيد عز الدين بحر العلوم وما التفت اليه من وجود فرق دقيق جدا بين معنى (الظمآن) و(العطشان) وتوضيح علة التعبير بـ(الظمآن) دون (العطشان).

وبعد البحث في القرآن الكريم عن كلمتي (الظمآن) و (العطشان)، تبين للباحث أنَّ كلمة (ظمأ) أو احدى مشتقاتها قد وردت في القرآن الكريم ثلاث مرات، في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ المدينة وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ((التوبة: ١٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ ((طه: ١١٩)، وأيضا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾ (النور: ٣٩)، أما كلمةُ (عطش) أو اشتقاقاتها فلم ترد في القران الكريم، فالداعي قد خاطب الله سبحانه وتعالى بلغة القران الكريم.

ثانيا: علل الايثار في الافعال

ويمكن تقسيم علل الايثار في الافعال عند السيد عز الدين بحر العلوم بما يلي:

١. الافعال الماضية:

الفعل (خدع):

أصل خدع يدل على إخفاء الشيء، فالخَدْعُ: إِظْهَارُ خِلَافَ مَا تُخْفيه، يقال: خَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خَدْعًا وخِداعًا أي: خَتَلَه، وأراد به المكروه مِن حيث لا يعلم، والاسم الخَدِيعَةُ، وقيل: الاسم هو الخداع، والخداع: مصدر: خادعَ وخدَعَ (ينظر: الصحاح في اللغة: ١/ ١٦٥. وينظر: القاموس المحيط: ٩١٩. وينظر: لسان العرب: ٨/ ٦٣).

يرى السيد عز الدين ان التعبير بـ (الخداع)، في قول الداعي: (وخدعتني الدنيا بغرورها) ينطوي على معنى يبيّنُ من خلاله انَّ هذا الانهماك في طلب الدنيا والاقدام على المخالفات لم يكن مقصودا، ولم يأتِ من تقصيرٍ متعمدٍ، بل هو مخدوع من حيث لا يعلم (ينظر: اضواء على دعاء كميل: ١٥٩).

وخلاصةُ القولِ فإنَّ الداعي قد آثرَ (الخداع) على غيره، ليُبينَ بأنهُ غير قاصدٍ للذنبِ، محاولاً أنْ يبررَ أخطاءهُ أمامَ الله سبحانهُ وتعالى؛ لكي يصلَّ الى عفو الله ومغفرتهِ، وهذا ما بيَّنهُ السيد عز الدين رحمه الله، وقد انفردَ بتوضيحِ شرحِ هذهِ الكلمة.

الفعل (خَرَّ):

خرَّ: الخاء والراء أصل واحد وهو اضطراب وسقوط مع صوت (ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢/ ١٤٩).

بين السيد عز الدين بحر العلوم (رحمه الله)، أنَّ جملة (خر ساجدا)، التي ذكرها الداعي في قوله: (أ تسلط النار على وجوه خرت لعظمتك ساجدة) يراد بها: انكب على وجهه،

وإنَّ انكباب العبد على وجهه ساجدا لربه فيه من الخضوع والذلة ما لا يعطيه التعبير بكلمة (سجد لك وجهي)، فان السجود هو وضع الجبهة على الارض وان كان يحمل بين طياته كل معاني الخضوع ولكنه يفتقد لتلك الرقة التي تحصل من منظر سقوط العبد الى الارض ساجدا والذي يظهر غاية التسليم والانقياد (أضواء على دعاء كميل: ٢٢٢).

وعليه فان كلمة (خرت) ادت معنى اكثر رقة في التوسل الى الله لكي يبعد عقاب النار عن الداعي، وقد انفرد السيد عز الدين رحمه الله بالوقوف على شرح هذه الكلمة وبيان معناها على وجه الدقة (ينظر: شرح دعاء كميل للميرزا اللاري: ١/ ٢٤١. وينظر: اسرار العارفين: ٢٧٥. وينظر: شرح دعاء كميل للسبزواري: ٢١٩)، وقد اخذ منهُ السيد كامل الحسن هذا المعنى (ينظر: رشحات سنية : ٢٧١).

الفعل (أشار):

شار العسل يشوره استخرجه من محله واجتناه (ينظر: لسان العرب: ٢٤/ ٢٣٥٧)، وقد وردت هذه الكلمة في شعر المرتضى بقوله:

قد قلت للقوم غرّتهم بشاشته
وربما شَرِقَ المشتار بالعسل
(ديوان المرتضى: ٤٢٣)

وقد بين السيد عز الدين بحر العلوم ان الداعي لم يجد غير تشبيه حلاوة الاستغفار بحلاوة العسل للوصول الى نفوس عامة الناس في قوله: (وأشارت باستغفارك مذعنة)، فالكل يعرف حلاوة العسل، وبهذا التشبيه أعطى صورة واضحة يسهل الاطلاع عليها من قبل الجميع، مع ملاحظة الفرق بين الحلاوتين، فحلاوة العسل يجد الذائق فيها لذة وقتية سرعان ما تزول،أما حلاوة الاستغفار فهي حلاوة النفس حلاوة الامل الاخضر التي تطرد الاشباح القاتمة عن نفس المذنب المستجير (ينظر: اضواء على دعاء كميل: ٢٢٥).

اما السيد جعفر بحر العلوم فيرى أن الداعي شبّه حلاوة الاستغفار بحلاوة العسل، وقيل ايضا في معنى أشار عليَّ بكذا، اي أراني ما عنده من المصلحة (ينظر: بحار الانوار: ٦٩/ ٣٠٢)، أي انه شبه حسن النصيحة بشرب العسل (ينظر: اسرار العارفين: ٢٧٧)، ولكنه لم يوضح سبب تشبيه الداعي بهذه التشبيهات سواء التشبيه الاول او الثاني، وبهذا نستطيع القول ان السيد عز الدين قد انفرد في بيان علة التعبير في تشبيه الاستغفار بحلاوة العسل.

الفعل (دلع):

دَلَعَ: ما دلَّ على الخروج، تقول دلع لسانه: خرج (ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٢ / ٢٩٧)، ودَلَعَ الرجل لسانه يَدْلَعُه دَلْعاً فانْدَلَع وأَدْلَعه: أَخرجه، جاءت اللغتان، وقيل: أَدْلَع لغة قليلة، واندلع: خرجَ من الفم واسترخى وسقط على العَنْفقة كلسان الكلب (ينظر: اساس البلاغة: ٢٩٤. و ينظر: لسان العرب: ٨/ ٩٠)، واندلع لِسَانُهُ: خَرَجَ مِنْ فَمِهِ وَاسْتَرْخَى، يَنْدَلِعُ لِسانُ الكَلْبِ مِنْ شِدَّةِ الحَرارَةِ (معجم اللغة العربية المعاصرة: ١/ ٧٦١).

يرى السيد عز الدين بحر العلوم أنَّ الفعل (دلع)، في قول الداعي: (يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه)،

يُعطينا صورةَ خروجِ أغلبِ اللسانِ من الفمِ، مشبهاً كلامَهُ بما نشاهدهُ عندَ الكثير من الأشخاصِ أو الحيوانات وبالأخص عند الكلاب عندما يُصيبُهم العطشُ والتعبُ، مُستشهداً بالحديث الشريف الذي وَصَفَ هذهِ الصورة قائلا: ((إنَّ امرأَة رأَتْ كلباً في يوم حارٍّ قد أَدْلَع لسانه من العَطَش)) (النهاية في غريب الحديث: ٢/ ٣).

وقد شَبَّهَ لنا الداعي في دعائهِ النورَ الذي يخرجُ من الأفقِ بعد انتهاءِ الليل باتجاهِ قبةِ السماءِ ليمزقَ الظلمةَ مستطيلاً في ابتدائهِ ليشعَ رويداً رويدا، شبهَهُ بمنظرِ خروج الكثير من لسانِ الكلبِ متهدلاً متدلياً (ينظر: اضواء على دعاء الصباح: ٥٢).

ولقد علَّلَ السيد عز الدين بحر العلوم ايثار الفعل (دَلَعَ) على غيرهِ، لأنَّ خروجَ اللسانِ المتدلي من الفم لتعبٍ أو ظمأ يُقرب لنا الحقائقَ مستعيناً بالصور المألوفة لنا التي نشاهدها وهي تنبثقُ من واقعنا اليومي، ليتمكنَ من خلالِ تلكَ الصورِ أنْ يوصِلنا الى الغايةِ، وهي الاعتراف بعظمة الله وقدرته في هذا الكون برحابهِ الواسعة (المصدر نفسه: ١٩).

٢.الافعال المضارعة:

*** الفعل (أسألك):**

سأله الشيء: طلب منه أنْ يُعطِيهِ إياه، إلتمسهُ منه، ويقال: اذا سألت فاسأل الله (ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٠١٩)، قال تعالى: ﴿لا يسئلون الناس إلحافاً﴾ (البقرة: ٢٧٣)، والسؤال هو طلب الأدنى من الأعلى (ينظر: كتاب التعريفات: ١٢٣).

وقد بيَّنَ السيد عز الدين بحر العلوم أنَّ ايثار الفعل (أسأل) في قول الداعي: (اللَّهم انّي أسألكَ برحمتكَ التي وَسعت كلَّ شيء)، هو لما تشتمل عليه هذه الكلمة من خشوع وخضوع، فالداعي وهو الفقير الى ربهِ، اتجهَ الى الله ليسألهُ من رحمتهِ ولم يقل (أريد) أو (أطلب) بل هو سائلٌ مستعطٍ، كما إنَّ الفقيرَ يُطلق عليه سائل (ينظر: اضواء على دعاء كميل، ٨٤).

وبالعودة الى معنى الطلب لوجدنا أنَّ الطلب قد يفتقرُ الى جواب، بينما السؤال يستدعي جوابا إمّا باللسان وإمّا باليد، وكل سؤال طلب، وليس كل طلب سؤالا (ينظر: الفروق اللغوية: ١/ ٢٨٧)، ويكونُ السؤالُ مذموماً إذا كانَ من المخلوق ومتوجّها إلى غير الله سبحانهُ بل يلزمه الذلّ والمهانة، ويكون ممدوحاً اذا كانَ من المخلوق ومتوجّهاً إليه تعالى (ينظر: شرح دعاء كميل، ابو الحسن اسماعيل اللاري: ١/ ٢٠٩).

ولعلَّ السيد عز الدين قد انفردَ بالالتفات الى هذه الكلمة ووقفَ على توضيح علة ايثار الفعل(أسأل) على غيرهِ (اخذ السيد كامل الحسن من السيد عز الدين. ينظر: رشحات سنية: ٥٦).

الفعل (أضج):

أضجَّ: من الضجيج: أضج القومُ إضجاجاً: صاحوا وجلبوا، وفي بعض النسخ فجلبوا: فإذا جزعوا من شيءٍ وفزعوا وغلبوا فضجوا يضجون ضجيجا، وفي اللسان: ضج يضج ضجا وضجيجا وضجاجا، وضجَّ القومُ

ضجاجاً،وعن أبي عمرو: ضجَّ: إذا صاحَ مستغيثاً، وسمعْتُ ضجةَ القومِ أي جلبتهم،وفي الغريبين: الضجيج الصياح عند المكروه والمشقة والجزع (ينظر: تاج العروس : ٣/ ٤٢١).

يرى السيد عز الدين (رحمه الله) أنَّ تعبير الداعي بـ (أضجُّ) في قولهِ: (يا الهي وربي وسيدي ومولاي لأي الامور اليك اشكو ولما منها أضج وأبكي)، يصورُ لنا حالةَ الداعي وهو يصيحُ باكياً وفي جلبة، وهي من حالات من يفقد شيئاً فيذهل عن وضعهِ، ويخرج من اتزانهِ، ولذلك فإنَّ علة ايثار هذا الفعل دون غيره؛ لما يحملهُ من معنى اقتضاء الترحم عليه وهو على هذه الحالة من الارتباك والذهول (ينظر: اضواء على دعاء كميل: ٢٦٥)، وقد انفرد السيد عز الدين(رحمه الله) في بيان علة التعبير بهذا الفعل دون غيره (لم يذكر الشراح السابقون ذلك. ينظر: شرح دعاء كميل للميرزا اللاري: ١/ ٢٤٠. وينظر: أسرار العارفين: ٣٠٢-٣٠٥. وينظر: شرح دعاء كميل للسبزواري: ٢٣٥).

*** الفعل (تُخيّبُ):**

خابَ يَخِيبُ خَيْبَةً: حُرِم، ولم يَنَلْ ما طَلَب، والخَيْبَة: الحِرْمانُ والخُسْران وخَيَّبَهُ اللهّ: حَرَمَه (ينظر: لسان العرب: ١٣/ ١٢٩٧)، وحاشا الله سبحانه وتعالى أنْ يخيّبَ من قصدهُ متلهفاً وطالباً الرشدَ منهُ، باكياً لطلبِ العفو والغفران، قال بهيم العجلي: ((وَعِزَّتِكَ إِلَهِي مَا بَكَى الْبَاكُونَ إِلَيْكَ فَخَيَّبْتَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ)) (ينظر: الرقة والبكاء: ٢٠١).

وقد علَّلَ السيد عز الدين بحر العلوم ايثار الفعل (تخيب) على غيرهِ، في قول الداعي: (أم كيف تخيب مسترشدا قصد الى جنابك ساعيا)، ذاكراً أنَّ لهذا الفعل وقعاً في نفوس الداعي قد لا يحصلُ لو عَبَّرَ عنهُ بلفظٍ آخر، فالفعل يتجسد فيه معنى الحرمان من فيض الله وغفرانه وللحرمان وقعه عند الداعي، لذلك أخذَ يتعجب مستغيثا من تخيّب الله سبحانه (ينظر: اضواء على دعاء الصباح: ٢٠٣)، وقد انفرد السيد (رحمه الله) في شرح هذا الفعل على هذا النحو.

٣. فعل الامر: وقد وَرَدَ فعلٌ واحدٌ، وهو:

*** الفعل (اغْرَسْ):**

غَرَسَ الشجر يغرسهُ غرساً وغروساً: أنبتهُ في الارضِ كأغرستهُ (ينظر: القاموس المحيط: ٢/ ٢٣٤)، وأما الينابيع: فهي جمع ينبوع، وهو عينُ الماءِ، أو الجدول الكثير الماء (ينظر: لسان العرب: ٤٩/ ٤٣٢٨).

بيّنَ السيد عز الدين بحر العلوم أنَّ الداعي في قوله: (واغرس اللهم بعظمتك في شرب جناني ينابيع الخشوع)، قدْ طلبَ من ربهِ أنْ يغرسَ ينابيعَ الخشوعِ في قلبهِ، والغرسُ لا يتلاءم مع الينبوع، بل الحفرُ ملائمٌ لهً (ينظر: اضواء على دعاء الصباح: ١٣٧)، فإنَّ الانسانَ اذا أراد اخراج الماء من الارض حفرها، والاستعمال الدارج على الالسنة حفر البئر أو الآبار، وهناك علة لإيثار الفعل (اغرس) دون غيره، ويمكن الاجابة عنها بأربعة اجوبةٍ، وهي كما ذكرها السيد عز الدين (ينظر: المصدر نفسه: ١٣٧-١٣٩) (رحمه الله):

الجواب الاول: إنَّ المراد من (الغرس) هو الاخراج، وهو محمول على التضمين، بمعنى الاخراج بقرينة (ينابيع)، أي اغرس مُخرجاً، فالينابيعُ ليستْ من متعلقات الغرس ولا

يصحُّ أنْ يكونَ من معلولاتها، وهو ما ذكره المازندراني (ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح:٩٢).

الجواب الثاني: إنَّ (الغرس) هو اخراجُ الترابِ من الارض وادخالِ الشجرِ فيه، ولو اقتصر الموضوع على اخراجِ الترابِ دون ادخال الشجر، لاستقامَ المعنى ورُفعَ الاشكالُ، والداعي لم يقل (اخرج) مكان (اغرس) لان الغرس أبلغ، وهذا ما ذكره المازندراني ايضا في شرحه (المصدر نفسه: ٢٣).

الجواب الثالث: بَعضُ النسخ وردَ فيها الفعل (اغزر) مكانَ (اغرس)، وهو يدل على الكثرة، يقال: اغزر القوم اذا كثرت ألبان مواشيهم، وهذا المعنى ملتئم مع الينابيع لان الداعي يطلبُ من ربهِ أنْ يجعلها غزيرةً اي كثيرةً، وهو ما ذكره المازندراني حيث قال: ((وهو من الغزارة بمعنى الكثرة، يقال: اغزر القوم اذا كثر البان مواشيهم وهو قريب، ولكن لا يناسب التعليل بالعظمة)) (المصدر نفسه).

الجواب الرابع: جاءَ في بعض النسخ كلمة (نبابيع) بدلَ (ينابيع)، والنبع: كما يقول أهلُ اللغة: هو شجر يتخذ منه القسي و السهام ينبت في قلة الجبل (ينظر: القاموس المحيط: ٣/ ٨٧)، وكانت من الأشجارِ التي تطولُ وتعلو، وهنا يرتفع الاشكال مع مناسبة التعليل، لانَّ الداعي يطلبُ خشوعاً كاملاً بالغاً طويلاً عالياً على القلبِ وعلى كلِّ الجوارح والأعضاء، وهذا ما ذكره المازندراني، ويراهُ الأظهر، حيث أنَّهُ يرى أنَّ الاجابات الثلاث الاولى، لا يخفى ما فيها من التكلف في التوجيهات والتأويلات (ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ٩٣).

ولكنَّ السيد عز الدين بحر العلوم يميلُ الى أنَّ الكلمةَ المؤثرة والمناسبة هي (اغرس)، خاصةً وانّهُ قد استشهدَ بقول بعض الشراح انهُ قد بلغَهُ أنَّ نسخةً خطيةً وجدَتْ بخطِ أمير المؤمنين فيها كلمة (اغرس)، وبهذهِ الكلمة يكونُ الداعي قد طلبَ من ربهِ أنْ يجعلَ قلبَهُ موطنا للخشوع مراعياً جهةَ كيفيةِ الخشوعِ، وجهةَ الكميةِ، فقدْ بيّنَ السيد عز الدين أنَ الكيفية: هي طلب الداعي من الله سبحانه وتعالى أنْ يُرسّخَ هذا الخشوع على نحو يكونُ كترسيخِ الشجرةِ في الأرض، تكون قويةً وثابتةً، وأما الكميةُ: فإنَّ الداعي يريدُ من ربهِ أنْ يكونَّ الخشوعُ كثيراً، كما تكونُ الينابيعُ التي تخرجُ مياهها من باطن الأرض، وبذلك يلتئمُ مع الغرسِ، فكما الشجرةُ راسخةُ الجذورِ، فانَّ الداعيَ يريدُ خشوعاً مماثلاً في قلبهِ (ينظر: اضواء على دعاء الصباح: ١٣٨).

ويرى السيد عز الدين بحر العلوم رأيا آخراً: وهو أنْ لا نجْمَدَ على كونِ كلمةِ (اغرس) هي اخراجُ الترابِ من الأرض وادخالُ الشجرِ، بل قد يكون الامام عليه السلام ربما كان له رأيٌ آخرٌ، فقد يكون الغرس يشمل هذا النحو من اخراج المياه، حتى وإنْ كانَ ينبوعاً، أو كانت لغةٌ للعربِ في ذلك (ينظر: المصدر نفسه).

أما الحاج مُلا هادي السبزواري، فقدْ وضَّحَ اشكال ايراد (اغرس) مع الينابيع، حيث ذكر قائلا: ((ولعلك تقول: الغرس يناسب الشجر، مثل أنْ يُقال: شجرات الخشوع)) (شرح دعاء الصباح للسبزواري: ١٢٥)، ولكن هو ليس كذلك، فأن (اغرس) الواردة في الدعاء هي استعارة مطلقة، لا ترشيحّية، ولا مجرّدة، و ممكن أنْ

يكونَ (اغرس) مُشتقاً اشتقاقاً جعلياً بمعنى العين، كـ (استحجر) و(استنوق)، ونحوهما، ويقال: ((بئرٌ غرسٌ في المدينة)) (القاموس المحيط: ٢/ ٢٣٤)، ومنه حديث: ((غَرسٌ من عيون الجنة، وغسل صلى الله عليه واله منها)) (مرآة العقول: ١٣ / ٣٢٢. بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٠٥. شرح أُصول الكافي: ٦ / ١٤٥)، وفي هذا المعنى تُرفَعُ كلُ اشكالاتِ اغرس وعدم تلائمها مع ينابيع.ومما سبق يرى الباحثُ، ما يلي:

١.إنَّ ايثار الفعل (اغرس) _ مع ما يصاحبهُ من تفسيراتٍ و تضميناتٍ _ على الفعل (اخرج) أبلغُ تعبيرا، وهذا ما ذكره المازندراني وكذلك ما ذكره السيد عز الدين بعده، إلاّ أنَّ السيد عز الدين قد بيَّنَ موضحاً أحقيةَ ايثار الفعل (اغرس) من خلالِ شرحِ الكيفيةِ والكميةِ لخشوع الداعي، وهو قد انفردَ في هذا التوضيح عن سابقيهِ من الشراح، وهو كلام مقنعٌ وصائب، يخلو من التكلف، وهو حريٌ بالترجيح.

٢.إنَّ الجوابَ الرابع والذي يراهُ المازندراني هو الاظهر، والذي ذَكَرَ فيهِ السيد عز الدين بحر العلوم أنَّ الاشكالَ يرتفعُ فيه مع مناسبة التعليل، من حيث تشبيه الداعي طلبهُ بالخشوع أنْ يكونَ كاملاً بالغاً طويلاً عالياً على القلب، كما في هذه الشجرةِ التي تطولُ وتعلو، وكما في هذا النبع من عروقٍ قويةٍ وجذوعٍ وأغصان كثيرة، فانهُ من حيث الاسلوب واستخدام الاستعارة فانَّهُ يرتفع فيه الاشكال وهو مناسب للسياق من حيث المعنى، إلاّ إنَّ الباحثَ لا يميلُ الى هذا الرأي والسبب يتعلق بالسؤال التالي: كيفَ يستعمل الداعي وهو الامام علي عليه السلام كلمة (نبابيع) وهو شجرٌ دعا عليه النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ((لا أطالك الله من عود)) (نهاية الاثر: ٥/ ٩. ينظر: كتاب المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: ٣/ ٢٥٤)، فلم يطل، اي مات او ضعف فلم يعد يعلو ويطول، فـإنَّ هذا الشجر كان يستعمل في صناعة القسي والسهام (ينظر: لسان العرب: ٤٨/ ٤٣٢٧) وهي تُستخدمُ في الحروب وفيها قسوة وفيها مؤشرات للقتل والدمار، بينما الداعي في دعائه يريد الرحمة والمغفرة، فلماذا يستعمل الداعي كلمات فيها دلالات على الحروب والمعارك ؟ ومن ثم دلالات على القسوة والعنف ؟.

٣.يرجح الباحث ما ذكرهُ الحاج مُلا هادي السبزواري، أنْ يكونَ (أغرس) مشتقا اشتقاقا جعليا بمعنى العين، ففي هذا المعنى يتلاءم لفظ (الينابيع) مع لفظ (أغرس)، وترفع كل اشكالات (اغرس)، ويرجح الباحث أيضا ما ذكره السيد عز الدين بحر العلوم في النقطة الاولى.

ثالثا : علل الايثار في فعل الامر

ومن أمثلة ايثار الحرف عند السيد عز الدين بحر العلوم، الحرف (يا)، في قول الداعي:

(يا أول الاولين و يا آخر الاخرين).

فالحرف (يا): حرفٌ لنداء البعيد، أو من هو بمنزلته من نائم أو ساه، فإذا، نودي بها من عداهم؛ فلحرص المنادي على إقبال المدعو عليه، و((مفاطنته لما يدعوه

له)) (المفصل في صنعة الإعراب: ٤١٣)، وذكر ابن الخباز عن شيخه أن (يا) للقريب، وهو خرق لإجماعهم (ينظر: اوضح المسالك: ٤ / ٦).

وجاء في مغنى اللبيب أنّ (يا): حرف موضوع لنداء البعيد حقيقة أو حكما، وقد ينادى بها القريب توكيدا، وقيل: هي مشتركة بين القريب والبعيد، وقيل: بينهما وبين المتوسط (ينظر: مغنى اللبيب: ٢/ ٣٧٣)، وتعد الأداة (يا) أشهر أحرف النداء وأكثرها استعمالا حتى انها سميت ام حروف النداء او ام الباب (ينظر: كتاب معاني الحروف، الرماني: ٤٥٢) وذلك لأنها تدل عليه في جميع أبوابه، وأنها تنفرد في الاستغاثة وتشارك الاداة (وا) الندبة (ينظر: الاساليب الانشائية في النحو العربي: ١٣٧)، وهي مختصة بنداء اسم الله عز وجل (ينظر: الاشباه والنظائر: ٢/ ١٣٠)، ولم يرد في التنزيل الكريم نداء بغيرها (ينظر: المعجم الوافي في النحو العربي:٣١٠)، وقد تستعمل (يا) لنداء القريب لعلة بلاغية يقتضيها السياق، وتنزيل القريب منزلة البعيد، لأسباب عديدة منها:

منها: فيها إعلام بشأن المنادى وعلو مكانته، كما في قوله تعالى: ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا﴾ ((سورة مريم: ٤٤)، فنبي الله ابراهيم عليه السلام ينادي أباه وهو قريب منه، مستخدما (يا) الموضوعة لنداء البعيد ليبين مكانة أبيه وسمو منزلته، حتى وإنْ كان على غير دينه، وهذا من ادب الابن مع ابيه، وكذلك لاستبعاد الداعي نفسه عن حال المنادى ومن ذلك نداؤنا لفظ الجلالة فنقول: (يا الله) مع انه اقرب الينا من حبل الوريد (ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ٤١٣)، ومنه قول الشاعر أبي نؤاس:

يـا رَبِّ إِن عَظُمَـت ذُنـــوبي كَثـرَةً
فَلَقَـد عَلِمـتُ بِـأَنَّ عَفـوَكَ أَعظَـمُ

فالمنادى في البيت الشعري (يا رب)، وهو جليل القدر خطير الشأن فكأن بُعدَ درجته فى العظم بُعدٌ في المسافة، ولذلك اختار المتكلم في ندائه الحرف الموضوع لنداء البعيد ليشير إلى هذا الشأن الرفيع (ينظر: البلاغة الواضحة: ٢١١).

ومنها: الإشعار بغفلة المنادى عن الأمر العظيم الذي يقتضي اليقظة والانتباه؛ كقولك: هيا فلان تهيَّأ للحرب، ومنه قول الشاعر محمود سامي البارودي:

يـا أيهـا السـادر المـزورُّ مـن صلـفٍ
مهـلًا فإنـك بالأيـام مُنخـدعُ

وكأن غفلـة هـذا الغافـل جعلتْـك تُبعـده عـن سـاحة الحضـور، وتُنزلـه منزلـة البعيـد، فتناديـه نـداءَه؛ لينهـض مـن غفلتـه، ويقـوم مـن نومـه (ينظـر: علـم المعـاني دراسـة بلاغيـة ونقديـة لمسـائل المعـاني: ٤١٤).

ومنها: التنبيه على عظم الأمر المدعو له وعلو شأنه، حتى كأن المنادى مقصر فيه غافل عنه مع شدة حرصه على الامتثال، كقوله تعالى: ﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك﴾ (المائدة: ٦٧)، فكل النداءات الموجهة من الله تعالى الى عباده تُحمل على هذا المحمل (ينظر: علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ٤١٣).

ويرى السيد عز الدين بحر العلوم أَنَّهُ من الغريب أن يكون النداء بحرف (يا) في (يا اول الاولين)، لأن الياء موضوعة في المصطلح النحوي لنداء البعيد حسب ما بينه بعض النحويين، وانها غير متلائمة مع ما وصفه الله سبحانه وتعالى من قربه لعبده، حيث قال: {ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد} (ق: ١٦)، ثم أجاب (رحمه الله) عن الذي اثار استغرابهُ، مبينا علة ايثار حرف النداء (يا) على غيره مع انه لنداء البعيد، حيث بين أنَّ الداعي وجد نفسه بعيدا عن ربه نظرا لجرائمه العديدة، لذلك استعمل في النداء ما يدل على البعد من حروف النداء اعترافا بتقصيره (ينظر: اضواء على دعاء كميل: ٩٦).

اما باقي شراح دعاء كميل الذين سبقوا السيد عز الدين بحر العلوم فلم يتطرقوا لهذا الحرف في شروحاتهم، سوى السيد جعفر محمد باقر بحر العلوم حيث ذكر قائلا: ((وفي جعل اداة النداء ياء الموضوعة للبعيد مع انه تعالى اقرب الينا من حبل الوريد، اشارة الا ان جرائمنا ابعدتنا عن ساحة جلالته بمراحل)) (اسرار العارفين:١٢٣).

وبعد الاطلاع على علة ايثار (يا) لنداء الله سبحانه وتعالى وجد الباحث الآراء الاتية:

الرأي الاول: أنَّ ايثار (يا) من بين حروف النداء الموضوعة لنداء البعيد، مع ان الله اقرب الى عبده من حبل الوريد، هو هضما لنفسه واستبعادا لها عن مظان الزلفى، حيث يذكر الزمخشري في قوله: ((وقول الداعي: يا رب و يا أله، استقصار منه لنفسه، وهضم لها واستبعادا عن مظان القبول والاستماع، واظهاراً للرغبة في الاستجابة بالجوار)) (ينظر: المفصل في صنعة الاعراب: ٥ / ٤١٣. الانموذج في النحو: ١٩٣)، أو تنبيها على شدة حرص الداعي وقوة رغبته على اقباله، كأَنَّهُ أمر بعيد، وايضا رعاية لقانون الادب، ادب الدعاء وادب السالكين (ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧).

الرأي الثاني: ما ذهب اليه الشيخ ابن الحاجب من أنَّ (ياء النداء) تعم القريب والبعيد (ينظر: شرح الرضي على الكافية: ٤ / ٤٢٥.)، اي ان غيرها يقتضي قرب المكان أو بعده، اما الاداة (يا) فلا تقتضي شيئا منهما، فهي جنس منحصر في النوعين، فلا بد من وجوده ضمن افرادهما (ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧).

الرأي الثالث: لإيثار (يا) دون غيرها، فإنَّ الحق في ندائها للبعيد، وقد ينادى بها القريب تنزيلا له بمزلة البعيد: لعظمته ولبيان البعد للحضرة المقدسة والساحة المطهرة عن قرب الداعي، والاشعار ببعد المنزلة وعلو المكانة والسمو، بالرغم من أنَّ المنادى حاضر قريب، او لغفلته، أو للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه، وقد علم ان الله تعالى لا يجوز عليه السهو ولا الغفلة (ينظر: تفسير كنز الدقائق: ١/ ١٦٥. ينظر: مفتاح الفلاح ومصباح النجاح: ١٧. ينظر: علم المعاني

دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني: ٤١٤).

ويرى الباحث أن سبب ايثار (يا) على غيرها في هذه الفقرة من الدعاء، هو الرأي القائل: (ان الحق في ندائها للبعيد، وقد ينادى بها القريب تنزيلا له بمنزلة البعيد: لعظمته ولبيان البعد للحضرة المقدسة والساحة المطهرة عن قرب الداعي، والاشعار ببعد المنزلة وعلو المكانة والسمو، بالرغم من ان المنادى حاضر قريب)، مع أنَّ رأي السيد عز الدين في ايثار حرف النداء (يا) ورادٌ ومقبولٌ، إلاّ اننا لو تأملنا قليلا الفقرات الدعائية التي سبقت نداء الداعي وقوله: (يا أول الاولين)، فأننا لا نجد اعترافا للداعي بذنب أو خطأ أو جريمة قام بها حتى نقول أنَّ الداعي وجد نفسه بعيدا عن ربه نظرا لجرائمه العديدة، بل نراهُ قد ذكر صفاتٍ لله سبحانه وتعالى: كالرحمة والقوة والجبروت والعزة والعظمة والسلطان والبقاء بعد فناء كل الاشياء، وكذلك أسماء الله التي ملأت أركان كل شيء، وكذلك علمه الذي احاط بكل شيء، ونوره الذي أضاء كل شيء، فهذه الصفات كلها تجعل الداعي يشعر بعظمة الله وعلو مكانته وسموه، وكذلك يشعر ببعد الحضرة المقدسة بينه وبين الله سبحانه وتعالى.

الخاتمة

ان أبرز ما توصل اليه البحث من نتائج موضوع علل الايثار في كتابي اضواء على دعاء كميل واضواء على دعاء الصباح للسيد عز الدين بحر العلوم (رحمه الله)، وأهم النتائج هي:

١. ان السيد عز الدين بحر العلوم (رحمه الله) هو من افاضل اهل العلم، وهو شخصية علمية حوزوية واجتماعية من عائلة دينية عريقة، اهتم بالدراسة الحوزوية اهتماما كبيرا اضافة الى اهتمامه بحل مشكلات مجتمعه وكان له حُظْوَة ومقبولية كبيرة في كلا الامرين.

٢. خاطب السيد عز الدين (رحمه الله) في كتبه الشباب بلغتهم، والعلماء ببحوثه المعمقة، وقد حاول من خلال الكتاب والسنة الشريفة أن يؤسس لمشكلة البحث ويجعل لها الاجوبة المعنية، فجاءت في بحوثه الاجتماعية مسائل مهمة في الفقه الاجتماعي كالزواج والطلاق وما يتعلق بالمجنون والصغير وغيرها.

٣. كشف البحث عن قدرة السيد عز الدين بحر العلوم البارعة على التحليل الدقيق، وكان اسلوبه بارعاً وميسراً، وشرحه دقيقاً وواضحاً.

٤. يبدو _ والله اعلم _ أنَّ السيد عز الدين بحر العلوم قد اطلع على أغلب الشروحات السابقة، فكان شرحه في أغلب الأحيان لكلمات أو تراكيب لم يتم شرحها، وفي أحيان قليلة أفاد

من شروحاتهم، كشرح مفتاح الفلاح ومصباح النجاح للمازنداني، وكذلك كتاب أسرار العارفين للسيد جعفر بحر العلوم و وكذلك شرح دعاء كميل للشيخ عبد الأعلى السبزواري.

٥. تنوّعت عبارات السيد عز الدين بحر العلوم في ذكره لعلل الايثار وأهمها:(إنّ التعبير بـ) أو (وقد يرد الاشكال على) أو (وقد يتساءل عن السبب في استخدام الكلمة) أو (من الغريب أنْ) أو (إنّ التعبير بكلمة (كذا) ما لا يعطيه التعبير بكلمة (كذا) أو قد لا يحصل لو عُبّر عنه بـ (كذا)) أو (لم يقل الداعي (كذا) بل إنّه قال كذا) أو(السؤال بعبارة ما معنى ؟) أو (الاستفهام عن سبب استعمال الداعي لكلمة أو صيغة دون سواها) أو يقول (لم يقل الداعي (كذا) مكان (كذا) لان الاولى أبلغ).

٦. كان السيد عز الدين يعضد ما يذهب إليه من تعليلات بآيات قرآنية،وبأحاديث نبوية شريفة، وبأبيات شعرية من كلام العرب.

٧. تعرض هذا البحث – من دون غيره من البحوث لذكر العلل في دعاءين جليلين هما دعاء كميل ودعاء الصباح فلم يسبق ان تم تناول هكذا بحث.

٨. أدعية أهل البيت عليهم السلام وشروحها تزخر بعلل التعبير على مختلف أنواعها ولا عجب في ذلك فهم أمراء الكلام.

٩. من خلال البحث استنتجت أن موضوع علل الايثار من المواضيع الهامة، وفيها اتجاهان، الاتجاه الاول يتعلق بالقائل (وفي بحثي هو الداعي)، حيث انه (يؤثر كلمة دون اخرى) لأسباب مختلفة منها ما لها علاقة ببلاغة الكلمة ومنها ما لها علاقة في التأثير على المخاطب، اما الاتجاه الثاني فله علاقة بمن يشكل أو يستفهم أو يشكك أو من يريد الاستيضاح فعند بيان علة الايثار ترفع اشكاليات كبيرة، وتتضح امور عديدة لها صلة بدقة اختيار اللفظة.

١٠. كان السيد عز الدين رحمه الله سبّاقاً في الإشارة إلى كثير من علل الايثار التي لم يشر إليها غيره، والاعتناء بكلمات لم يلتفت اليها من سبقه وقد تفرد بشرح الكثير من علل الايثار وردت ضمن الدعاءين.

المصادر

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان الاندلسي (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق: الدكتور رجب عثمان محمد، مراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخناجي، القاهرة، ط١: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٢. الاساليب الانشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

٣. اسرار العارفين في شرح كلام مولانا امير المؤمنين، السيد جعفر محمد باقر بحر العلوم (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق: فارس حسون كريم، دار جواد الائمة، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٤. الأشباه والنظائر في النحو، العلامة عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: عبد الإله نبهان – غازي مختار طليمات – إبراهيم محمد عبد الله – أحمد مختار الشريف، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٥. أضواء على دعاء الصباح، الشهيد السعيد اية الله السيد عز الدين بحر العلوم، مبرة المرحوم محمد حسين معرفي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

٦. أضواء على دعاء كميل، الشهيد السعيد اية الله السيد عز الدين بحر العلوم، مبرة المرحوم محمد حسين معرفي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ -٢٠١١م.

٧. الانموذج في النحو، تصنيف محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، اعتنى به سامي بن حمد المنصور، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٣م.

٨. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، الامام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الانصاري (٧٦١هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا- بيروت.

٩. بحار الانوار، العلامة شيخ الاسلام محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

١٠. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ

١١. البلاغة الواضحة، علي الجارم و مصطفى أمين، دار المعارف.

١٢. التحرير و التنوير((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد))، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ م

١٣. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ابن مالك،أبوعبدالله محمد جمال الدين،: تحقيق محمد كامل بركات، دار الكاتب العربي.

١٤. تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، لقاضي القضاة ابي السعود بن محمد العمادي الحنفي (ت ٩٨٢هـ)، تحقيق: عبد القادر احمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة

١٥. تفسير الفخر الرازي الشهير بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي (ت٦٠٤هـ(، دار الفكر للطباعة والنشر، ط١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

١٦. تفسير كنز الدقائق، محمد بن محمد رضا القمي المشهدي (١١٢٥هـ)، مؤسسة شمس الضحى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٧. رجالات السيد بحر العلوم (المعروف بالفوائد الرجالية)، آية الله العظمى السيد محمد المهدي بحر العلوم الطباطبائي، منشورات مكتبة الصادق، طهران- ايران، ط١، ١٣٦٣هـ.

١٨. رشحات سنية في شرح دعاء كميل، السيد كامل الحسن، مؤسسة الكوثر للمعارف الاسلامية، قم، ط١.

١٩. الرقة والبكاء، عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط٣، ١٤١٩هـ -١٩٩٨ م.

٢٠. شرح أُصول الكافي، لثقة الإسلام ابى جعفر محمد

بن يعقوب الكليني (ت ١٠٨١ هـ)، مع شرح الكافي الجامع للمولى محمد صالح المازندراني مع تعاليق الميرزا أبو الحسن الشعراني، تحقيق: السيد علي عاشور، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

٢١.شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاستراباذي، تحقيق: محمد نور الحق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٩٧٥ م.

٢٢.شرح جمل الزّجّاجي،علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: فواز الشعار، اشراف: الدكتور اميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨ م.

٢٣.شرح دعاء الصباح، حاج ملا هادي السبزواري، اشراف الشيخ: مصطفى ال مرهون، مؤسسة المصطفى للتحقيق والنشر، ١٤٣٢هـ.

٢٤.شرح دعاء كميل، الشيخ عبد الاعلى للسبزواري (ت١٣٢٤هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد باقر بابانيا، تحت اشراف الاستاذ: احمد العابدي، زائر استانة، قم، ١٣٨٧هـ.

٢٥.شرح دعاء كميل، ميرزا ابو الحسن محمد باقر لارى اصطهباناتى (ت ١٢٨٦هـ)، تحقيق: علي أوسط ناطقي، مكتبة مدرسة الفقاهة.

٢٦.علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د. بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة ط٤، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٥م.

٢٧.القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط٨: ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥ م

٢٨.الكافي، الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٦٧ش.

٢٩.الكتاب، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة،ط٣،١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

٣٠.لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.

٣١.لمسات بيانية في نصوص من القران الكريم، د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، ط٣، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٣٢.المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهاني المديني (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جدة – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

٣٣.مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)،تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط١، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٣٤.مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي(ت١١١١ هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٣٧٥ .

٣٥.مسند الامام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط و عادل مرشد، وآخرين إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٦.معاني الحروف، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني النحوي(ت ٣٨٤هـ)، حققه وخرّج حديثه وعلق عليه: الشيخ عرفان بن سليم العشاحسونه الدمشقي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ١٤٢٥هـ.

٣٧.معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٣٨.معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٣٩.المعجم الوافي في النحو العربي في أدوات النحو العربي، د.على توفيق الحمد و يوسف جميل الزعبي، دار الامل، أربد- الاردن، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٤٠.معجم رجال الفكر والادب في النجف، د. الشيخ محمد هادي الاميني، مطبعة الآداب،١٩٦٤م.

٤١.معجم مقاييس اللغة،أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٢.معرفة الله، من أبحاث سماحة المرجع الديني السيد كمال الحيدري(دام ظله) بقلم الدكتور طلال الحسن، مؤسسة الهدى للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

٤٣.مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الانصاري، تحقيق وشرح: الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٤.مفتاح الفلاح ومصباح النجاح في شرح دعاء الصباح، للعلامة المحقق محمد اسماعيل بن الحسين بن محمد رضا المازندراني (ت ١١٣٧هـ)، تحقيق: السيد محمد الرجائي، مجمع البحوث الاسلامية، مشهد - ايران، ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٤٥.المفصل في صنعة الاعراب، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٣ .

٤٦.المقتضب، ابو العباس محمد بن يزيد المُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤٧.النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٨.هدية العارفين اسماء المؤلفين واثار المصنفين، اسماعيل باشا البغدادي، مطبعة وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥٥م.